الفصل الخامس

موقف الصوفية من الوحى ، والنبوة

يزعم الصوفيون .. أن النبى ﷺ اختص بعلومهم وأحوالهم نفرا من قرابته وآل بيته ، وفريقا من أهل محبته .. وذلك بما نفث فى صدورهم من علوم الحقيقة وأسرار الباطن !!

وأنه ﷺ .. أورث هؤلاء الأقارب والأحباب ميراث النبوة الروحى فى شكل ولاية !!

ويزعمون أن شيوخهم قد تناقلوا هـذه الولاية كابرا عن كابر فى سلسلة الآباء الروحانيين الى يوم القيامة !!

ويسمون هـذا النسب الروحى فى أوساطهم : « حسبا » .. ويعرف أهله المحسوبون بأنهم : « أهل الله » !!

فما هو مبلغ تصورهم للنبوة ، وما هو موقفهم من الوحى ؟ ؟

يقول الدكتور التفتازانى عن التصوف فى عهده الأول : « نلاحظ ابان القرنين الثالث والرابع الهجريين اتجاهين واضحين للتصوف ..

الاتجاه الأول .. ويمثله صوفية معتدلون فى آرائهم ، يربطون بين تصوفهم وبين الكتاب والسنة بصورة واضحة .. وان شئت قلت : يزنون تصـوفهم دائما بميزان الشريعة ، وكان بعضـهم من علمائها المعروفين .. ويغلب على تصوفهم الطابع الأخلاقى ..

والاتجاه الثانى .. يمثله صـوفية استسلموا لأحوال الفناء .. ونطقوا بعبارات غريبـة عرفت بالشطحيات .. وكانت لهم تصورات لعلاقة الانسان بالله : كالاتحاد .. وتصوفهم لا يخلو من بعض المنازع الميتافيزيقية فى صورة بسيطة ..

فهم فى هـذه الفترة .. وان كانوا تكلموا فى المعرفة بطريقة نظرية .. الا أنها كانت من زاوية أخلاقية فى الأغلب »[١] .

وتقوم النظرة الصوفية الى المعرفة — ابان هـذه الفترة — على أنها : « العلم بلا واسطة ، الناشىء عن الكشف والشهود » ..

لذا نرى كلامهم بناء على هـذه النظرة — فى المواجد والأذواق مبنيا على الكشف والشهود والخروج بهما وبالفناء الى دائرة تقربهم من الاتجاه الاشراقى .. غير أنهم وقفوا عند حد النظر بعمق الى المعانى الباطنة للألفاظ والنصوص الدينية .. كما راعوا ذلك فى عباراتهم التى تكلموا بها واستعملوها فى علمهم الصوفى .. ونظروا فيها الى كل ما تحتمله هـذه الألفاظ من معنى .. وربما بلغ بهم الأمر الى حد الالغاز والرمز[٢] ..

ويقول الدكتور ابراهيم هلال : ان الاتجاه السنى — فى الفترة الأولى — ظل هو الغالب فى الفكر الصوفى الى أوائل القرن السادس .. وكان لدعوة القشيرى ونشاط الامامين الهروى والغزالى البارز فى هذا المجال أثرهما فى محافظة التصوف على سنيته الغالبة حتى هذه الفترة ..

غير أن الاشراق — كحركة فلسفية — لم يعدم أن يجد له بين المتصوفة أنصارا ومريدين .. فظهر فى الشرق فى فلسفة السهروردى الحلبى ، وفى الأندلس فى مدرسة ابن مسرة التى كان من أبرز رجالها ابن عـربى وابن سبعين .. كمـا تأثر بهـا من الشرقيين الجيـلى وابن الفارض .

واتخذ التصوف عند هؤلاء .. طابعا فلسفيا ، ونحا منحى الفلاسفة فى اتخاذ نظرياتهم فى الفيض والمعرفة الاشراقية لتفسير كثير من المشكلات العقائدية التى تعترضهم فى فكرة الخلق ، وذات الله وصفاته ،

---

(١) مدخل الى التصوف الاسلامى ، للدكتور ابو الوفا التفتازانى ، ص ١١٧

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٧ بتصرف .

والعلاقة بين الله والكون ، وبين الله والانسان .. وغيرها مما يتصل بالنبوة والولاية والمعرفة ..

الأمر الذى نتج عنه نظريات فلسفية معقدة ، وبحوث ميتافيزيقية شاعت فى الوسط الاسلامى كنظرية وحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية ، ونظرية الحلول والاتحاد بشكلها المكتمل ، ونظرية القطب والأبدال ، وغيرها مما لم يكن معروفا من قبل فى الأوساط الاسلامية السنية[٣] .

* * *

● **نظرية المعرفة الاشراقية :**

وأول فيلسوف اسلامى نادى بنظرية المعرفة الاشراقية هو الفارابى مبتدع هـذه النظرية .. ثم أخذ بها الفلاسفة والصوفية من بعده ..

ويرى « الفارابى » أن غاية المعرفة هى الاتصال بالعقل الفعال .. والعقل الفعال عنده هو جبريل الموكل بالوحى ، والذى ترتسم فيه كل الصور ، وتنتقش فيه كل العلوم والمعارف الغيبية .. حسب زعمه !!

والانسان — عند الفارابى — لا يبلغ هـذه الدرجة الا بالمجاهدة والرياضة وتصفية النفس .. وذلك يكون بأفعال ما ارادية .. بعضها فكرية وبعضها أفعال بدنية ، وليس بأى أفعال اتفقت ..

وهـذه الأعمال من شأنها .. أن تنتقل بالانسان شيئا فشيئا .. من حالة البشرية .. الى حالة الملائكية .. ويصير — كما يقول الفارابى — « فى جملة الجواهر المفارقة للمواد » .. وبهذا يكون قد وصل الى درجة المعرفة التامة التى صارت المعلومات فيها منطبعة فى نفسه ، وأصبحت نفسه مع الصور الكلية « عقلا ومعقولا بالفعل » .. وهذه هى رتبة الاتصال بالعقل الفعال ..

وما دام الانسان — فى نظر الفارابى — قد وصل الى هـذه الدرجـة .. فقد صار فى حالة تقبل للمعلومات الجزئية الغيبية ،

---

(٣) التصوف الاسلامى ، للدكتور ابراهيم هلال ، ص ٩٩

والمعارف الكلية التى لا يطلع عليها الا الملائكة المقربون ، لأنها منقوشة فى اللوح المحفوظ — أو العقل الفعال — ويكون ذلك اما فى وقت اليقظة أو فى وقت النوم .. وهى حال الفلاسفة والحكماء الالهيين »[٤] .

وهـــذه الآراء نفسها .. هى فحوى نظرية المعرفة الاشراقية عند أتباع الأفلاطونية المحدثة .. التى تقوم على التجرد من ماديات النفس ، واعتزال العالم الخارجى باطالة التأمل والتفكر ، والنظر فى النفس أو فى العالم رغبة الوصول الى الاله أو الاتحاد به فكريا ، والعيش معا فى العالم الأعلى أو الكينونة الدائمة فى ذلك العالم المجرد أو الالهى ، والاطلاع على أسرار تعجز النفس عن الوصول اليها فى حال ماديتها .. وقد أثر هـــذا المذهب أولا عن أفلاطون ، ثم قوى واشتد عوده على يد أفلوطين فى القرن الثالث الميلادى ..

واذا ما حاولنا تلخيص النظرية الاشراقية عند الفارابى .. نجد أن الانسان — عنده — اذا قويت نفسه بالرياضة حتى صار عقلا بالفعل ، وصارت المعقولات منه هى التى تعقل .. حصل له حينئذ عقل بالفعل ، أو عقل مستفاد ..

وعن طريق هـــذا العقل .. يمكن للانسان أن يتصل بالعقل الفعال الذى هو جبريل عند الفلاسفة ، واللوح المحفوظ عند الصوفية ، والذى نقش فيه كل شىء : ما كان وما يكون ..

وتكون نفس الانسان — فى هـــذه الحالة — بمثابة المرآة ينعكس عليها كل ما عند الملأ الأعلى ، أو ما فى نفوس الملائكة .. فيكون ذلك الشخص بما يفيض من العقل الفعال الى عقله المنفعل حكيما وفيلسوفا .. وبما يفيض منه الى قوته المتخيلة نبيأ منذرا بما سيكون .. ومخبرا بما هو الآن من الجزئيات بوجود يعقل فيه الالهى ..

والفارابى — هنا — يجمع بين المعرفة والنبوة فى نظرية واحدة .. ويجعل الأساس الذى تقوم عليه معرفة العلمـــاء والفلاسفة الالهيين

---

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤

نفس الأساس الذى تقوم عليه معرفة الأنبياء .. وان كان قد خص الأنبياء بزيادة فى قوة المخيلة . .

كذلك .. يجعل من هذه النظرية أساسا لمعارف المرضى والمجانين وغيبياتهم فيقول : « وقد تعرض عوارض يتغير فيها مزاج الانسان ، فيصير بذلك معداً لأن يعقل عن العقل الفعال .. اما فى وقت اليقظة ، واما فى وقت النوم » ..

والنظرية الاشراقية .. عندما تتحدث عن كلمة العقل .. فانما يراد بها الحالة التى عليها الانسان من المعرفة ..

فالانسان — عندهم — قبل حصوله على المعلومات يكون فى مرحلة العقل الهيولانى .. أى المجرد من المعارف ..

فاذا بدأت المعارف تشرق فى نفسه من العقل الفعال .. صار عقلا منفعلا .. فاذا قويت هـذه المعارف صار عقلا بالفعل .. فاذا زادت عن ذلك صار عقلا مستفادا ، أو فى مرحلة العقل المستفاد ، وهى آخر تطور يمر به الانسـان — عندهم — فى تحصيله للمعارف بالطريقة الاشراقية أو الذوقية ..

وفى هـذه المرحلة يستطيع الانسان أن يتصل بالعقل الفعال .. أو جبريل الموكل بالوحى وآخر العقول العشرة التى تحكم الكون — فى تصورهم — والذى يعتبر عقلا لفلك القمر ، ويأخذ عنه المعـرفة الغيبية والعلم اللدنى كأكمل ما يكون الأخذ والعلم .. ويكون فى هذه الحالة بارادة الانسان نفسه[٥] .

* * *

● **كيف يتصورون الوحى والنبوة ؟**

يقول فضيلة الشـيخ محمد حسين الذهبى فى تعريف الوحى : « أصل الوحى فى اللغة : الاعلام فى خفاء ، ومن هنا كان له فى لسان العرب اطلاقات متعددة ، كلها يدور حول هـذا المعنى العام : فيطلق

---

(٥) المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦

على الالهام ، والاشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والكلام الخفى ، وكل ما ألقيته الى غيرك ..

وفى اطار هذا المعنى اللغوى الشامل لكل هذه الاطلاقات ، ورد الوحى فى أسلوب القرآن الكريم بمعنى الالهام ، وذلك فى قوله تعالى : « **وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا** »(٦) .

وورد بمعنى الاشارة .. فى قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام : « **فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا** »(٧) .

وورد بمعنى الوسوسة فى قوله سبحانه : « **وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم** »(٨) .

وورد بمعنى القاء الله بما يريد القاءه للملائكة ، كما فى قوله : « **اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا** »(٩) .

وورد بمعنى القاء الله بالقرآن لنبيه محمد ﷺ ، كما فى قوله مخاطبا له : « **وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها** »(١٠) .

وورد بمعنى الموحى به ، كما فى قوله تعالى عن القرآن الكريم : « **أن هو الا وحى يوحى** »(١١) .

أما الوحى بالمعنى الشرعى : فتارة يعرفونه بأنه : « كلام الله تعالى المنزل على نبى من أنبيائه » .. وتارة أخرى يعرفونه بأنه : « اعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه » ..

---

(٦) النحل : ٦٨ (٧) مريم : ١١
(٨) الأنعام : ١٢١ (٩) الأنفال : ١٢
(١٠) الشورى : ٧ (١١) النجم : ٤

وظاهر أن التعريف الأول تعريف للوحى بمعنى الموحى به ، وأن التعريف الثانى تعريف للوحى بمعنى الايحاء ..

وظاهر أيضا أن الوحى بالمعنى الشرعى .. لا يخرج عن نطاق المعنى اللغوى ، والفرق بينهما هو الفرق بين العام والخاص .. فالوحى بالمعنى اللغوى عام يشمل كل اعلام فى خفاء ، والوحى بالمعنى الشرعى خاص لا يتناول الا ما كان من الله لنبى من الأنبياء »(١٢) ..

« أما كيفية تلقى جبريل — عليه السلام — للقرآن عن الله تعالى .. فقيل انه كان يؤمر من قبل الله تعالى بحفظه من اللوح المحفوظ .. وقيل — وهو الراجح — أنه كان يتلقفه من الله تعالى تلقفا ايحائيا لا ندرك كنهه ، ثم ينزل به على النبى ﷺ ..

ومما يشهد لهذا القول الأخير .. ما رواه الطبرانى من حديث النواس بن سمعان مرفوعا الى النبى ﷺ قال : « اذا تكلم الله بالوحى ، أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ، فاذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله بوحيه بما أراد ، فينتهى الى الملائكة ، فكلما مر بسماء سأله أهلها : ماذا قال ربنا ؟ قال : قال الحق ، فينتهى به حيث أمر ..

وأما كيفية تلقى النبى ﷺ للقرآن عن جبريل — عليه السلام — فكان على طريقتين :

احداهما : أن النبى ﷺ كان ينخلع من حالته البشرية الى الحالة الملائكية فيكلمه جبريل بالوحى ، ويعى عنه النبى ﷺ ما يقول .. وهذه أشق الحالتين على رسول الله ﷺ ..

ثانيتهما : أن جبريل كان ينخلع من صورته الملائكية الى الصورة البشرية فيوحى الى النبى ﷺ ما شاء الله أن يوحى ، والرسول ﷺ

---

(١٢) الوحى والقرآن الكريم ، للشيخ محمد حسين الذهبى ، نشر مكتبة وهبة ، ١٩٨٦ ، ص ٧ وما بعدها .

يعى عنه ما يقول ، وكثيرا ما كان يأتى جبريل عليه السلام الى النبى ﷺ على صورة رجل من أصحابه اسمه : دحية الكلبى »[١٣] .

هـذا هو التصور السليم للوحى وكيفيته .. غير أن لفلاسفة الصوفية فى المسألة رأى آخر .. فالنبوة — عندهم — ما هى الا تطوير للنفوس البشرية .. حتى تصل الى أفق الملائكة .. فهى — أى النبوة — مكتسبة مثل الولاية ، وليست فطرية باصطفاء الله .. والوحى نفسه — فى بعض الحالات — عندهم — جاء من تطـوير النفس واعدادها ، فينعكس على صفحتها ما فى العقول والنفوس من معان وأخبار .. فالوحى بناء على ذلك — فى تصورهم — ليس من عند الله !!

ولهذا نراهم يسوون بين الأنبيـاء والكهان والسحرة والمجانين وأولياء الصوفية والمرضى .. وذلك حين فسروا علوم الأنبياء بما فسروا به غيبيات هؤلاء ، وحين أسندوا الى الفريقين القدرة على التأثير فى الطبيعة والكون بقوة النفس الذاتية .. وجعلوا هـذا تفسيرا لمعجزات الأنبياء وبقية الخوارق الأخرى .. وهـذا — ولا شك — ضرب من الزراية بالمعجزات ، وانكار تدخل العناية والقدرة الالهية فيها توصلا الى الغائها وابطالها[١٤] !!

ونراهم يصورون الوحى .. على أنه شىء يتولد من نفس النبى .. أو صور — تشرق فى نفسه وقت الصفاء ، وبعد أن تصل نفسه الى نهاية الصقل دون أن يكون هناك اتجاه أو تنزل من جهة ملك الوحى على الانسـان على ما هو معروف فى الوحى ، وأنه هو الذى يقصد الأنبياء ويتنزل عليهم .. لا أنهم هم الذين يقصدونه ويطلبونه !!

يقول تعالى لرسوله ﷺ : **« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم »**[١٥] .

---

(١٣) المرجع السابق .
(١٤) التصوف الاسلامى ، للدكتور ابراهيم هلال ص ٢٢٣ ، ٢٣٤
(١٥) الشورى : ٥٢

ويقول على لسان جبريل عليه السلام : « **وما نتنزل الا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا** »(١٦) .

فالله تعالى .. هو الذى أوحى الى نبيه ﷺ بالقرآن .. وما كان الرسول ﷺ يعرف أى شىء هو القرآن أو الايمان .. ولكن الله تعالى رحمة منه بالناس جعل هذا القرآن ضياء لهم يستضيئون بنوره للنجاة من النار .. وهو تعالى يهدى بهذا القرآن من يشاء من عباده الى سبيل الصواب ، والى الطريق المستقيم ..

والرسول ﷺ يهدى العباد بالدعوة الى الله تعالى والبيان لهم الى الطريق المستقيم ، طريق الله الذى دعا عباده اليه ..

والمراد بهداية الرسول — هنا — هى هداية الدلالة والارشاد .. أما هداية التوحيد والايمان فهى لله وحده كما قال تعالى لنبيه : « **انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** »(١٧) .

وجبريل — عليه السلام — ما ينزل بالوحى الى الدنيا الا بأمر الله تعالى .. فلله وحده ما بين أيدينا من أمر الآخرة ، وما خلفنا من أمر الدنيا ، وما بين وقتنا هذا الى قيام الساعة ..

ويروى أن جبريل عليه السلام .. احتبس عن الرسول ﷺ مدة من الزمن .. واشتاق الرسول اليه .. فلما جاءه قال له : « ما جئت حتى اشتقت اليك » .. فنزلت الآية : « **وما نتنزل الا بأمر ربك** » ، وختمها بقوله : « **وما كان ربك نسيا** » .. أى لم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولى اليك ..

ولكن .. وآه من لكن هذه !!

لكن القوم حين يتصدون للحديث عن النبوة والوحى .. يعقدون الشبه بين الأولياء — أو الحكماء المتألهين كما يسمونهم — وبين الأنبياء !!

فهم يجعلون الاتصال بالعقل الفعال الذى هو مصدر المعرفة والوحى .. لا يتم — سواء للأنبياء أو الأولياء — الا بعد تطهير النفس

---

(١٦) مريم : ٦٤ (١٧) القصص : ٥٦

بالعبادات البدنية والتأملات الفكرية .. ثم يبتدىء هذين الصنفين — أى الأنبياء والأولياء — فى السير الى المراحل العقلية الى أن يصلا الى مرحلة تقبل الفيض ، وأخذه عن العقل الفعال !!

فالاتصال — فى تصورهم — يبدأ عن الطرفين عند نهاية التطهر والتجرد ، وينتهى عندهما معا بالفيض !! وهو ما يقول به الفلاسفة فى جانب العقل الفعال .. وفى هـذا هبوط بمنزلة الوحى ، فضلا عما فيه من التسوية بين الأنبياء وبين غيرهم من طالبى المعرفة !!

* * *

قلنا : ان الاشراق — كحركة فلسـفية — وجد له بين المتصوفة أنصارا ومريدين كالسهروردى فى الشرق ، وابن مسرة وابن عربى وابن سبعين فى الغرب ..

والاشراق عند السهروردى يمثل المرحلة الحاسمة للتطور الفكرى الكامن فى المحيط العقلى الاسلامى .. كنتيجة طبيعية لتطور مذهب ابن سـينا من جهة ، وحكمة أفلاطون من جهة أخرى ..

يقول السهروردى : « وما ذكرته من علم الأنوار ، وجميع ما يبتنى عليه وغيره ، يساعدنى عليه كل من سلك سبيل الله عز وجل .. وهو ذوق امام المحكمة ورئيسها أفلاطون صاحب الأيد والنور .. وكذا من قبله من زمان والد الحكمـاء هرمس الى زمانه من عظماء الحكمـاء قبـل أنبا دوفليس »[١٨] .

غير أننا نجد أوجه الشـبه بين السهروردى وبين ابن سـينا والفارابى قوية جدا .. رغم نعيه عليهما عدم الرسـوخ فى الذوق أو الحكمة الالهية .. فقد قال بنظرية الفيض التى قالا بها وبنيا عليهـا نظريتهما .. وان كان قد خالفهما أخيرا فى عدم الوقوف بالفيض عند العقل الفعال ..

فالفيض عند السهروردى أوسع مما يتصوره المشاؤون ، وأكثر

---

(١٨) حكمة الاشراق ، للسهروردى ، ص ١١

فى عدد مراتبه بما لا يمكن حصره .. فنور الأنوار .. يفيض على كل ما تحته من الأنوار القاصرة أو المجردة .. وهى بالتالى يفيض كل منها على ما يليها : العالى على السافل !!

والحكمة — فى القرآن الكريم — هى النبوة ، ولم ترد الا مراداً بها النبوة والوحى والتشريع ..

يقول الله تعالى عن آل ابراهيم : « **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما** »(١٩) .

ويخاطب عيسى عليه السلام قائلا : « **ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل** »(٢٠) .

ويقول للرسول ﷺ : « **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما** »(٢١) .

كما يقول : « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** »(٢٢) .

ولكن السهروردى يقول : « ولا تظنن أن الحكمة فى هذه المدة القريبة — أى بعد عصر النبوة — كانت لاغية .. بل العالم ما خلا قط عن الحكمة ، وعن شخص قائم بها عنده الحجج والبينات .. وهو خليفة الله فى أرضه ، وهذا يكون ما دامت السموات والأرض »(٢٣) .

والمعرفة — عند السهروردى — سواء أكانت وحيا أم غيره ، مصدرها النفس وآلتها قوة المخيلة .. وكلاهما مصدر داخلى فى الانسان (!!) .. وسواء أكانت — هذه المعرفة — قد انعكست على

---

(١٩) النساء : ٥٤
(٢٠) المائدة : ١١٠
(٢١) النساء : ١١٣
(٢٢) الجمعة : ٢
(٢٣) المرجع السابق ، ص ١١

النفس من العقل الفعال أو من نفوس الأفلاك .. فكلا التعبيرين سواء .. لأن العقول والنفوس — فى نظره — تتجه بأنوارها الى ذلك العقل فتقويه وتؤيده ..

يقول السهروردى : « ان الأنوار المجردة العالية لا يحجب بين السافلة منها وبين نور الأنوار .. اذ الحجاب من خاصية الأبعاد وشواغل البرازخ .. مع أن كل نور قاهر يشاهد الأنوار »[٢٤] !!

فالأمر — كما قال الفلاسفة من قبل — أنه ليس هناك وحى خارجى يأتى عن طريق القاء جبريل .. بل الوحى قد وجد مبدئيا داخل النفس — حسب تأثرهم بنظرية المثل — ، أو أن النفس تستقبله عن صورته التى فى العقل الفعال — حسب نظرية المعرفة الاشراقية — فالواقع أن الثانية فيها عناصر من الأولى ، والأمر ليس الا جلاء وتصقيل ، أو اعداد واستعداد ، أو عملية تذكر — على ما يقول أفلاطون وابن سينا — وهذه ميزة علم الأنبياء والأولياء عند هؤلاء الاشراقيين .. فليست هنا ايجابية الوحى السماوى كما جاء فى القرآن الكريم والأديان السماوية قبله !! بمعنى أنه اتجاه من الله أو من الملك الى الانسان ..

وانما الاتجاه عند هؤلاء هو من الانسان فقط ، ومن أى انسان كان .. وكأن الوحى السماوى شرعة لكل وارد ، وليس اختيارا واصطفاء !!

فهنا طريق كسبى للنبوة .. قد قال به من سار فى هذا الطريق من المتفلسفة أو من كان على شاكلتهم من المتصوفة .. فقد ادعى الحلاج من قبله أحاديث قدسية على نحو الأحاديث القدسية عند الرسول ﷺ .. كما أضاف اليه الشبلى الشفاعة يوم القيامة مع النبى ﷺ ، كما أضافها الشبلى أيضا الى نفسه .. وهذا مقام قد اختص به النبى ﷺ دون الأنبياء جميعا ..

ونسب الى عبد الحق بن سبعين .. أنه تجرأ على هذا المقام —

---

(٢٤) نفس المرجع ص ١٤٠

مقام النبوة — وأنه كان يقول على حديث الرسول ﷺ : « أنا العاقب فلا نبى بعدى » .. يقول عبد الحق : لقد زدت فيه : « نبى عربى »[٢٥] !!

* * *

وكان محمد بن عبد الله بن مسرة (ت ٣١٩ هـ) ، وهو من كبار متصوفى الأندلس — صاحب المدرسة التى كان من أبرز رجالها ابن عربى وابن سبعين فى المغرب .. والجيلى وابن الفارض فى المشرق ..

كان ابن مسرة فيلسوفاً أكثر منه متصوفاً .. وكان يستر آراءه وراء نسكه وزهادته .. فقد كان معتزليا فى أول أمره ، ثم مال الى مذهب الأفلاطونية المحدثة ..

وقد نسب الى ابن مسرة .. احياء حكمة الفيلسوف الطبيعى اليونانى القديم أنبا دوقليس (المتوفى عام ٤٣٠ ق.م) .. ذلك الفيلسوف الذى ادعى النبوة بل الألوهية !! والذى كان يرى أن وسيلة النجاة هى التطهر والزهد ، وتغليب العقل على الحواس ، والعمل على العودة الى المحبة التى هى أصل الوجود وسره .. اذ تتجمع بها العناصر بعضها الى بعض فتسود الوحدة .. أو توجد الموجودات حسب مبدأه فى المحبة والكراهية ، أو المحبة والقهر !!

غير أن ابن مسرة .. قال بمذهب آخر أقرب الى أن يكون هو مذهب أفلوطين .. حيث قال بنظرية الفيض كأصل للوجود ، أو الكون ، وما فيه من مخلوقات !!

لذا نرى ابن عربى — أبرز رجال مدرسة ابن مسرة — يفضل الولاية على النبوة .. معتمدا على أن الله تعالى تسمى بالولى ولم يتسم بالنبى !! .. فلذلك بقى اسم الولاية وانقطع اسم النبوة .. وما كان لله أن يتسمى باسم وينقطع ، فأسماؤه باقية أبدا وأزلا .. **واذلك** قال ﷺ : « فلا رسول بعدى ولا نبى » .. ولكن ابن عربى ، بالنسبة لمذهبه فى استمرار النبوة الباطنية — أى نبوة الأنبياء —

---

(٢٥) التصوف الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٩١ ، ١٩٢

يضيف الى حديث الرسول ﷺ : « نبيا مشرعا ، أو مشرعا له » •• أى نبياً جاء على شريعة رسول قبله ، وأنها ما انقطعت الا من وجه خاص ، وهو مسمى النبى والرسول ، ولذلك بقى حكمها وبقيت حقيقتها فى الأولياء[٢٦] !!

ومن مظاهر تنقيص ابن عربى من قدر النبوة بناء على هذه الفكرة : تسويته المطلقة بين نبوة الرسول ﷺ وهدى الأولياء أو نبوتهم الباطنية •• وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : « **أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده** »[٢٧] فيقول : « ان هؤلاء كانوا قد ماتوا وورثهم الله وهو خير الوارثين •• ثم جاد على النبى — ﷺ — بذلك الهدى الذى هداهم به » !!

ثم يقول : « وهذا عين ما قلناه فى علم الأولياء اليوم » !!

فالوراثة — عند ابى عربى — تشبه أن تكون نسخاً للشرائع والتنزيل •• اذ يرفع الوحى مرة أخرى الى الله لكى يهبط من عنده بصورة أخرى على هيئة تأويل تجده لدى أصحاب العلم الباطن ، أو لدى من يسميهم هو « ورثاء الله » ••

والوحى عند ابن عربى : خيال وحديث نفس ، وليس فى الواقع الا تصويرا من خيال النبى !!

اسمع اليه وهو يقول : « لقد بلغ بى قوة الخيال : أن كان حبى يجسد لى محبوبى من خارج لعينى •• كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ﷺ ، فلا أقدر أنظر اليه ، ويخاطبنى وأصغى اليه وأفهم عنه »[٢٨] !!

وهذا يعنى : أن الوحى ليس الا تصويرا من خيال النبى ، كما يصور خيال المحب ويجسد أمامه محبوبه فيخاطبه ويناجيه ويسمع كلامه •• وهو فى الحقيقة لا يخاطب الا نفسه ولا يسمع الا كلامه !!

---

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٩٨ (٢٧) الأنعام : ٩٠

(٢٨) الفتوحات ج ٢ ، ص ٤٢٩

وإذا كان الوجود عند ابن عربى واحـــدا ، فما معنى الثنائية فى الوحدة ؟ .. الواقع أنه ليس هناك ثنائية — عنده — بين الوحى وبين النبى .. واذا كانت هناك من أخبار يأتى بها الرسول ، أو تشريعات ، فهى ليست شيئا خارجا عن نفسه ، أو ليست شيئا غير نفسه !!

يقول ابن عربى فى الفصوص : « ولا يلقى الوحى فى غير ، ولا تلقى »[٢٩] .. وعلى هـــذا فان جبريل عليه السلام شىء اعتبارى لا حقيقة له الا فى الاسم بالنسبة للوحى !!

أرأيت الى أين قادته عقيدة وحدة الوجود ؟ !

ومقام الولاية — عند ابن عربى — يتساوى مع مقام النبوة ان لم يفقه .. يقول ابن عربى : « وليس هـــذا العلم — أى معرفة الله — الا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء .. وما يراه أحد من الأنبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم .. وما يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة المولى الخاتم .. حتى أن الرسل لا يرونه اذا رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء .. فان الرسالة والنبوة — أعنى نبوة التشريع ورسالته — ينقطعان ، وأما الولاية فلا تنقطع أبدا .. فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرونه الا من مشكاة خاتم الأولياء » !!

ثم يسوق الكلام الى أن يذكر : « ان خاتم الأنبياء موضع لبنة فضة ، وان خاتم الأولياء موضع لبنتين .. لبنة ذهب ولبنة فضة !!

« فهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه من الأحكام .. لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلابد أن يراه هكذا !!

وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن .. فانه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى بـــه الى الرســـل » !!

لذا نرى ابن تيمية يتصدى لدحض هـــذا الفكر الضال فيقول : «دعواه أن الأولياء كلهم حتى الأنبياء يستفيدون من خاتم الأولياء .. فهذا مخالف للعقل والشرع .. فان الأنبياء أفضل من الأولياء ، وخيار

---

(٢٩) فصوص الحكم ، الفص السابع ص ٩٣

الأولياء أتبعهم للأنبياء ، كما كان أبو بكر أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين ..

« وكذلك دعواه : أن خاتم الأولياء يأخذ العلم الظاهر من حيث يأخذ النبى ، ويأخذ العلم الباطن من المعدن الذى يأخذ منه الملك ما يوحيه الى النبى ، فهذا من أعظم الكفر والضلال .. وهو مبنى على قول المتفلسفة الذين يجعلون النبوة فيضاً يفيض على عقل النبى ..

« ويقولون ان الملك هو ما يتمثل فى نفس النبى من الأشكال النورانية .. فيقولون ان النبى يأخذ عن تلك الصور الخيالية .. وهى الملك عندهم .. فمن أخذ المعانى الفعلية عن العقل المجرد كان أعظم وأكمل ممن يأخذ عن الأمثلة الخيالية ..

« فهؤلاء اعتقدوا أقوال الفلاسفة الملحدين .. وسلكوا مسلك الرياضة .. فأخذوا يتكلمون بتلك الأمور الالحادية الفلسفية .. ويخرجونها فى قالب المكاشفات والمخاطبات ..

« وما ذكروه فى خاتم الأولياء لا حقيقة له — وان كان قد ذكره الحكيم الترمذى فى كتاب « خاتم الأولياء » — فقد غلط فى ذلك الكتاب غلطا معروفا عند أهل المعرفة والعلم والايمان »[٣٠] اهـ .

ومن هذا المنطلق — أن الولى أفضل من النبى — يقول أبو يزيد البسطامى : « لقد خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله » !!

فالأنبياء — فى نظره — يتلقون رسالاتهم عن جبريل عن الله .. أما الأولياء فانهم — حسب عقيدتهم — يتلقون علمهم عن الله مباشرة .. ويسمون هذا العلم بالعلم اللدنى ، لأنه من لدن الله !!

ويقول الجيلى : « الولى يسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات ، وكان البعيد منه كالقريب » !!

---

(٣٠) علم الحديث ، لابن تيمية ، نشر دار الكتب الاسلامية ، ص ٥١٦

ثم يقول عن نفسه : « وفى هذا التجلى سمعت علم الرحمانية » !!

كما يقول فى تعريف الانسان الكامل : « انه القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود ، وانه واحد لا يتعدد .. وانما يظهر فى الأنبياء والأولياء فى صور وملابسات مختلفة » !!

أى أن النبوة تتناسخ وتظهر فى الأولياء !!

ولهذا كان من اليسير على بعض الصوفية أن يدعوا لأنفسهم سرا وجهرا صفة النبوة والرسالة .. فكان الشبلى يقول لتلميذه : « أشهد بأنى أنا رسول الله » !! .. ويحكون أن تلميذه هـذا كان من أصحاب الكشف ، ولذلك أقر له بالرسالة فقال : « أشهد أنك رسول الله »!!

كما اصطنعوا الأحاديث اللازمة لتأييد فضل الأولياء على الأنبياء مثل قولهم : « الأولياء على منابر من نور ، وانهم فى مقام يغبطهم عليه الأنبياء والشهداء » !!

بل لقد زادوا على ذلك .. فخرجوا بعبارات يتطاولون بها على مقام الرسل الكرام .. فيقول الجيلانى : « أنتم معشر الأنبياء أوتيتم اللقب ، وأوتينا — أى نحن الأولياء — ما لم تؤتوا » !!

وأى عجب فى هذا .. بعد أن تطاول ابن عربى بالالحاد فى أسماء الله تعالى ، فقال : « ان الله لم يتسم بالنبى ولا بالرسول .. ولكن تسمى بالولى » ؟ !

* * *

وبناء على هذه النظرية الغريبة .. اعتبروا النبوة مكتسبة وليست اصطفاء واختيارا من الله تعالى !!

يقول أبو حامد الغزالى : « وأما الأنوار العقلية المعنوية فالعالم الأعلى مشحون بها ، وهى جواهر الملائكة »[٣١] !!

ثم يوضح حقيقة الوحى على هـذا الأساس فيقول : « ان الخيال

---

(٣١) مشكاة الانوار ، للغزالى ، ص ١٩٩

الكثيف اذا صفى ورفق وهذب وضبط .. صار موازيا للمعانى العقليـة وغير حائل عن اشراق نور منها »[٣٢] !!

وبهذا يكونون قد نفوا مبدأ الاصطفاء والاختيار فى النبوة .. وصارت تحصل لمن يتصل بالعقل الفعال بسبب الاستعداد للأشخاص من غير أن يكون من الملأ الأعلى سـبب يخص شـخصا دون شخص بالخطاب والتكليم !!

كما أنهم خرجوا عن فكرة ختم الرسالة بمحمد ﷺ .. وأنه صار من الممكن — فى عرفهم — أن يرسل الله من بعده رسلا — ويعنون بهم الحكماء المتألهين — كما ذهب الى ذلك السهروردى المقتول ..

وذلك مثل مناجاة ابن الفارض التى يقول فيها :

آنسـت فى الحـى نارا ليـلا فبشرت أهلـى

الى أن يقـول :

وصرت موسـى زمانـى قد صـار بعضى كلى

كما أن فى هـذا أيضا انكار لمظاهر الرسالة والوحى .. تلك المظاهر التى ثبتت تاريخيا ودينيا .. محاولين تأويل الديانات الموحى بها تأويلا يمسخها الى مقامات الصوفية[٣٣] ..

* * *

ويقول الأستاذ سميح عاطف الزين فى حديثه عن الولاية والنبوة عند الصوفيين[٣٤] :

« ليس بين شطحات الصوفية شطحة أحفل بدواعى العجب من تلك التى يزعمون فيها أن الرسول الكريم خص بعلومهم وأحوالهم نفرا من قرابته وفريقا من أهل محبته ، بما نفث فى صدورهم من علوم « الحقيقة » وأسرار « الباطن » .. وأنه أورث هؤلاء الأقارب

---

(٣٢) المرجع السابق ص ٢١٧

(٣٣) التصوف الاسلامى ، ص ٢٤٤

(٣٤) انظر : الصوفية فى نظر الاسلام ، له ، ص ٩٠

والأحباب ميراث النبوة « الروحى » .. فى شكل « ولاية » يتناقلها السعداء من شيوخ التصوف كابرا عن كابر .. فى سلسلة من الآباء الروحانيين الى يوم القيامة !!

« ويسمى هـذا النسب الروحى فى أوساط الصوفية « حسبا » ويعرف أهله المحسوبون بأنهم « أهل الله » .. وهى بدعة ظهرت فى العالم الاسلامى بظهور التصوف ..

« وقد أراد المروجون لها من الشعوبية انتزاع الفضل فى الاسلام من أولئك الذين حملوا اليهم هدايته من الجزيرة العربية ، بشعور ممقوت من كراهيتهم للعرب ، وبدافع من احساسهم بالنقص الشـديد أمام الكمال العربى الاسـلامى .. مما فرض عليهم التطاول على الواقع بالمزاعم والادعاءات ..

« ولكن هـذه البدعة .. لم تنفعهم كثيرا أول الأمر ، ولم ترفع قدرهم أمام أهل العصبية العربية ، فسارعوا الى تلفيق بدعة أخرى تقوم على ادعاء النسب العائلى الى جانب هـذا النسب الروحى الذى أوجده خيالهم .. فزعموا للناس اتصال نسبهم بالرسول — ﷺ — عن طريق الحسين عليه السلام غالبا ، والحسن عليه السلام أحيانا .. مع أن أكثرهم من مجهولى الأنساب » !!

ثم يتحدث عن الولاية عند الصـوفية فيقول : « نجح اختراع الصوفية هـذا بين العوام .. فأخـذوا يفاخرون بميراثهم الروحى الموهوم ، ونسبهم الجديد المزعوم .. وحسبوا أنفسهم غاية الله من خلقه ، وصفوة الصفوة من عباده !!

« وكان ذلك سببا فى ادعاء امتيازهم على الناس ، واختصاصهم من دونهم بالولاية ، تعويضا للصوفية عما حرموا أنفسهم من الكسب والطيبات ، وثمناً لمـا تركوه من المباحات !!

« فلما أصبحت الولاية لهم وحدهم .. شـكلوها بما يناسب أهواءهم ، وأخرجوها من مراد الله منها ، وساروا بها فى طريقها الهندى القديم : من تعذيب النفس بالرياضات والمجاهدات .. وسموا ذلك

« طريق الوصول الى الله » .. وجعلوا لهذا الطريق مراحل يقطعها « السالك » .. مرحلة اثر مرحلة .. حتى يصل فى نهايته الى مرحلة « الفناء » التى هى غاية الغايات عند الصوفية ..

« ثم قسموا الولاية الى درجات ومراتب .. بعضها فوق بعض .. أعلاها مرتبة « القطب » أو « الغوث » .. ومن بينها رتب : الصديقين ، والأوتاد ، والأبدال ، والعصب ..

« ولهم فى ترتيب المقامات سلم كثير الدرجات ..

« ثم افتتن الصوفية بالولاية فقالوا : هى مرتبة انتفاء الأخذ بالأسباب ، فيكفى أن يدور الأمر برأس الولى ليكون قدرا مقدورا !!

« وبالغوا فى تعظيم أصحاب الولاية .. فأنزلوهم منزلة فوق منازل النبيين والصديقين والشهداء ، فهم يقولون : أن للأولياء فى حياتهم قوة قدسية ينالون بها العلوم من غير تعلم .. فعندهم سر اسم الله الأعظم ، وعلم اللوح والقلم ، وما فى أم الكتاب .. وأنهم ليسخرون الكون لمشيئتهم ، وأن الأرزاق والنعم توزع على الناس من طريقهم ، ولذلك تجب طاعتهم وطلب « المدد » منهم !! ويقولون انهم معصومون من الذنوب ، فاذا أذنبوا احتجوا بالقدر ، أو اعتذروا بأن الشرائع لم تنزل من أجلهم .. الى غير ذلك !!

« ثم يقولون عنهم بعد الموت : انهم لا يموتون ، وانما يرفعون .. وأن أجسادهم لا تبلى فى القبور ، وأنهم فى حياة البرزخ يشرفون على شئون الخلق كما كانوا فى الدنيا »[٣٥] !!

ويحدثنا — جزاه الله خيرا — عن مفهومهم للنبوة والولاية فيقول : « لم يقتنع الصوفية بما ذهبوا اليه من الشطح والادعاء فى تفسيرات الولاية ، حتى قرنوا بين الولاية والنبوة ، وجعلوا للولاية خصائص وميزات من جنس خصائص النبوة وميزاتها .. فهم يجعلون «الكشف» فى الولاية نظير « الوحى » فى الرسالة » ..

---

(٣٥) المرجع السابق ، ص ٩١ ، ٩٢

[ونقول : الكشف عند الصوفية .. درجة من درجات المعرفة التى لا تحصل بالعقل ، وقد يسمونه الفيض ، ونظرية الفيض أو « الاشراق » مقتبسة — كما مر بك — من الأفلاطونية الحديثة التى توسعت فى شرحها بعد أن أخذت فيها آراء افلاطون وحكماء الهند] .

« ويقولون : ان الأولياء يتلقون « الفيض » وما يسمونه « العلم اللدنى » عن الله مباشرة .. فلا حاجة بهم الى الرسل لأنهم يأخذون من نفس المورد الذى يأخذ منه الرسل ! ، ويضعون الكرامات التى لا تخرج عن كونها نوعا من القصص والتصورات الخرافية فى منزلة معجزات الرسل .. ثم يتبعون هذا الادعاء بانتحال معجزات الرسل واحدة واحدة .. ومحيى الدين بن عربى ينعت الولاية بالنبوة .. فيقول : « نبوة الولاية » ، و « نبوة الشرائع » .. ويقول : هما من معدن واحد »[٣٦] ..

* * *

● ويشرح فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل أطوار الوجود الصوفية ، فيقول : « تدين الصوفية بأن الوجود الالهى له أطوار ، أو مراتب ، أو تنزلات ، أو تعينات ، أو نسب ، أو اضافات .. فكلها ذات مدلول خرافى واحد !!

« وأولى تلك المراتب : «العماء» .. والوجود الالهى فى هذا الطور لا يوصف بوصف ، ولا يسمى باسم ، ولا يعرف بحد ولا برسم !! .. أو كما يقول الكمشخانلى : « اعلم أن حقيقة الذات الالهية من حيث هى هى ، امتدادها — أعنى مدة بقائها — غير مضبوط .. لأنها من حيث هى كذلك لا وصف لها ، ولا رسم .. فهى العماء ، اذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه ما لم تتعين بصفة ..

« وأول هذه التعينات علمها بذاتها .. فهذه الصفة تنزل لها من الحضرة الالهية الذاتية التى لا تعت لها الى الحضرة الواحدية التى هى حضرة الأسماء والصفات ، وتسمى : الحضرة الالهية »[٣٧] .

---

(٣٦) نفس المرجع ص ٩٢

(٣٧) جامع الأصول ، للكمشخانلى ، ص ٩٣

ثم يقول : « نقلت لك النص بتمامه .. ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية ، فلا نسميهم الا بما يحبون أن يعرفوا به .. وقد يسمى الرب الصوفى فى تلك المرتبة بالوجود المطلق .. بيد أن النابلسى — فى غلو التجريد الذى ينتهى به الى العدم المطلق — ينزه الوجود فى تلك المرتبة حتى عن الاطلاق .. لأن وصفه بالمطلق قيد ، أو صفة له .. فيستلزم أن يكون المطلق مقيدا ، والمقيد مطلقا !! فيتوتر التناقض بين وصفيه ، ويستلزم أن تكون له صفة ، وهو مجرد كل التجريد عند ذلك الطور عن الاسم والصفة !!

« ورغم هـذا .. فهو واقع فى التناقض ، لأن الوصف بالسلب — أى عدم الاطلاق — قيد أيضا للوجود كالوصف بالايجاب !!

« ولقد أراد هـذا « العماء » أو « الوجود المطلق » أن يتعين فى صورة .. ليعرف وليعرف نفسه !! فتعين فى صورة « الحقيقة المحمدية » فكانت هى التعيين الأول للذات الالهية .. أو الفتق بعـد الرتق .. أو معبر الوجود من الاطلاق الى التقييد .. أو من العماء الى الأحدية ، ثم الواحدية »[٣٨] .

ولهذا نراهم يضعون الحديث الصوفى : « كنت كنزا مخفيا ، فأردت أن أعرف .. فخلقت الخلق .. فبى عرفونى » .. ويفسرون معنى « فبى » بكلمة « محمد » .. لأنها تساويها فى العدد فى حساب الجمل !!

* * *

● الحقيقة المحمدية :

يعرف الصوفيون الحقيقة المحمـدية « بأنها الذات مع التعيين الأول ، ولها الأسماء الحسنى ، وهى اسم الله الأعظم »[٣٩] !!

يقول الدمرداش : « حقيقة الحقائق .. هى المرتبة الانسـانية

---

(٣٨) هذه هى الصوفية ، لعبد الرحمن الوكيل ، ص ٧٣ ، ٧٤

(٣٩) انظر : جامع الأصول ، للكمشخانلى ، والتعريفات : للجرجانى .

الكمالية الالهية الجامعة لسائر المراتب كلها ، وهى المسماة بحضرة الجمع ، وبأحدية الجمع ، وبها تتم الدائرة ، وهى أول مرتبة تعينت فى غيب الذات ، وهى الحقيقة المحمدية »(٤٠) .

ويقول الكمشخانلى : « صور الحق هو محمد ، لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية » !!

كما يقول انه : « الجامع لجميع الأسماء ، أو هو اسم الذات الالهية من حيث هى هى .. أى مطلقة »(٤١) !!

والأحدية .. هى : « مجلى الذات الالهيـة ، ليس للأسـماء ولا للصفات ولا لشىء من مؤثراتها فيه ظهور .. فهى اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية — أى لا توصف بأنها حق — والخلقية »(٤٢) .

والرسول ﷺ — عندهم — « عبارة عن مجلى ظهور الذات فيها صفة ، والصفة فيها ذات »(٤٣) !!

والفرق بين الأحدية والواحدية : « أن الأحدية لا يظهر فيها شىء من الأسـماء والصـفات .. أما الواحدية فتظهـر فيهـا الأسـماء والصـفات »(٤٤) !!

فالرسول ﷺ — طبقا لعقيدتهم هذه — « هو الله سبحانه ، ذاتا وصفة .. وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو الموجود المطلق والوجود المقيد ، كان ولا شىء قبله أو معه ، ثم تعين فى صور مادية سمى فى واحدة منها بجماد ، وفى أخرى بحيوان .. وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمى ، وصدقت ماهيته على كل ماهية »(٤٥) !!

ومبتدع هـذه النظرية هى محيى الدين بن عربى .. وذلك نتيجة لتأثره بنظريتى الفيض والمعرفة الاشراقية ، وقوله بوحدة الوجود ..

---

(٤٠) رسالة فى معرفة الحقائق ، لمحمد الدمرداش ، ص ٧
(٤١) جامع الأصول ، ص ١٠٧ ، ٩٢
(٤٢) المرجع السابق .
(٤٣) نفس المرجع .
(٤٤) نفس المرجع .
(٤٥) هذه هى الصوفية ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ، ٧٥

ولهذا ابتدع هـذه النظرية واعتنقها ليبنى عليهـا مبدأه فى وحدة الوجود ، ونظريته فى العلم اللدنى للأولياء ، أو لخاتم الأولياء .. وهما جماع مذهبه ..

ابتدع ابن عربى نظريته فى وحدة الوجود .. متصورا ربا عجيبا .. يجمع بين النقيضين المتوترين فى ذاته ، وبين الضدين الحقيقيين فى صفاته ..

فهو الوجود الحق ، وهو العدم الصرف .. هو الخلاق ، وهو المخلوق .. هو عين كل كائن ، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم .. هو الحق الكريم ، والباطل اللئيم .. هو الفكرة العبقرية ، والخرافة الحمقاء .. هو الخاطرة الملهمة ، والوهم الذاهل ، والخيال الحيران ، والمستحيل الذى لا يتصور فيه العقل أبدا أن يخطر حتى مرة واحدة فى بال الامكان ، والممكن الذى يرى فيه الفكر أجلى معانى الامكان .. والذى لا يتوهم فيه العقل وهم استحالة .. هو المؤمن ، وهو الكافر .. هو الموحد الخالص التوحيد ، وهو المشرك الأصم الوثنية .. هو الجماد الغليظ ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرهفة والحساسية المتوقدة .. هو الملاك الساجد تحت العرش ، وهو الشـيطان الذى يصطرخ فى سـقر .. هو القديس الناسك يذوب قلبـه فى دموع التسابيح ، وهو العربيد يضج المأخور من بغى خطاياه .. هو الراهبة التى تحيا على محبة الله وتقواه ، وهو الغانية التى تحيا للجسد المبذول وتعيش على ثمنه .. هو النور يغمر الوجود بمباهجه ، وهو الظلام موار الكهوف بالفزع والرهبة [٤٦] !!

ولهذا رأينا ابن عربى يؤمن بأن اليهود عباد العجل ناجون .. بل انه يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهية ، ذلك العلم الذى لم ينعم موسى ولا هارون بلمحة من تجلياته .. فانهم — فى نظره — ما قصروا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى ، وانما عبدوا الرب

---

(٤٦) المرجع السابق ، ص ٣٤

متجليا فى صورة عجل .. فأدركوا من حقيقة الأمر ما لم يدركه موسى وهارون .. وهو أن الذات الالهية لا تعبد الا حين تتجلى فى صـــور خلقية !!

ومن هذا المنطلق .. نراه يؤمن بقدسية عبدة الأصنام ، ويمجد صدق ايمانهم واخلاص توحيدهم .. ويؤمن بالصابئة عبادا يوحدون الله ويخلصون له الدين .. كما يؤمن بسمو ايمان النصارى حين عبدوا ثلاثة آلهة ، ولكنه يعيب عليهم قصورهم عن ادراك الحقيقة الكاملة فى تصوره .. فالرب — عنده — ليس هو تلك الأقانيم فحسب ، وانما هو عين ما يرى أو يحس ، وعين ما لا يرى أو يحس .. ولهذا فهم مخطئون — فى نظره — لأنهم عبدوا مظاهر الرب ، أو بعض تعيناته .. وكـان واجبا أن يعبدوه فى الكل لأنه هو ذلك الكل فيما ظهر ، وفيما بطن[٤٧] !!

ويؤكد ابن عربى أن كل شىء هو الله سبحانه فيقول : « سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها »[٤٨] !!

ويقول : « ان العارف من يرى الحق — أى الله تعالى — فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء »[٤٩] !!

ويقول : « فما يحد شىء الا وهو حد الحق .. فهو الســارى فى مسمى المخلوقات والمبدعات ، فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود .. فالعالم صـــورته ، وهو روح العالم المدبر له .. فهو الانسان الكبير »[٥٠] !!

والحد .. هو أتم أنواع التعريف .. فاذا عرفت الصنم مثلا بحد ما .. فهذا التعريف صادق على الرب — فى تصوره — لأنه هو ذلك الصنم نفسه !!

ويقول عن صور العالم : « هى ظاهر الحق اذ هو الظاهر ، وهو باطنها اذ هو الباطن .. وهو الأول ، اذ كان ولا هى ، وهو الآخر ، اذ كان عينها عند ظهورها »[٥١] !!

---

(٤٧) راجع الفصوص لابن عربى ، الفص «العيسوى» ، و «المحمدى».
(٤٨) الفتوحات ، ج ٢ ص ٦٠٤ (٤٩) الفصوص ج ١ ص ١٩٢
(٥٠) الفصوص ج ١ ص ١١١ (٥١) المرجع السابق ص ١١٢

فالرب — فى تصور ابن عربى — هو كل ما نرى من صور العالم .. اسمع اليه وهو يقول : « هو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن فى حال ظهوره .. وما ثم من يراه غيره » — أى أنك اذا رأيت انسانا أو حيوانا أو حجرا ، فقد رأيت الرب نفسه !! فالرائى والمرئى هما عين ذلك الرب . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !!

ثم يقول : « وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز[٥٢] وغير ذلك من أسماء المرئيات »[٥٣] !!

والعارف بالله الحق — عنده — هو من يرى : « سريان الحق — أى الله تعالى — فى الصور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة الا ويرى عين الحق فيها »[٥٤] !!

ويصف ابن عربى الرب — سبحانه — بالعجز والنقص ، والسفه والحماقة .. وبأنه مناط مذمة وتحقير ومهانة !! فيقول : « ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص وبصفات الذم (؟!) .. ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها الى آخرها — وكلها حق له — كما هى صفات المحدثات حق للحق »[٥٥] !!

وهو — عنده — يستغرق كل نسبة عدمية أو وجودية .. فيقول : « فالمعلى لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى يستغرق به جميع الأمور الوجودية ، والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها .. وسواء أكانت محمودة عرفا وشرعا ، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا .. وليس ذلك الا لاسمى الله تعالى خاصة »[٥٦] !!

ويزيح ابن عربى الستار عن مكنون عقيدته حين يقول : « العارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه . ولذلك سموه كلهم الها

---

(٥٢) هو أحمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) وكان ممن تكلموا فى الفناء الصوفى .

(٥٣) المرجع السابق جـ ١ ، ص ٧٧

(٥٤) نفس المرجع ص ١٨١ (٥٥) المرجع نفسه ص ٨٠

(٥٦) نفس المرجع ص ٧٩

مع اسمه الخاص بحجر أو شجر ، أو حيوان ، أو انسان ، أو كوكب ، أو ملك »(٥٧) !!

فهو يعدد فى هذا النص آلهة الذين كفروا من قبل ، حين عبدوا الحجر والشجر والحيوان والانسان والكواكب والملائكة .. فيصوب عبادة الصابئة للكواكب ، وعبادة اليهود للعجل ، وعبادة النصارى للثالوث ، وعبادة الوثنيين للأصنام التى أقاموها لمن مات من أوليائهم .. فالكل — فى نظره — ما عبدوا الا ربا واحدا تجلى فى صورة تلك المعبودات !!

بل أن ابن عربى يوغل فى عبادة الأنثى !!

انظر اليه حين يقول : « ولما أحب الرجل المرأة ، وطلب الوصلة ، أى غاية الوصلة التى تكون فى المحبة ، فلم يكن فى صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح ، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها .. ولذلك أمر بالاغتسال منه ، فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة .. فان الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره فطهره بالغسل ليرجع بالنظر اليه فيمن فنى فيه ، اذ لا يكون الا ذلك ..

« فاذا شاهد الرجل الحق فى المرأة كان شهودا فى منفعل .. واذا شاهده فى نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده فى فاعل .. واذا شاهده فى نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه ، كان شهودا فى منفعل عن الحق بلا واسطة .. فشهوده للحق فى المرأة أتم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ، فلهذا أحب ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن ، اذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا ، فشهود الحق فى النساء أعظم الشهود وأكمله .. وأعظم الوصلة النكاح »(٥٨) !!

أرأيت بأى اجتراء وأى زندقة يصور الرب تعالى ؟ !

---

(٥٧) نفس المرجع ص ١٩٥

(٥٨) الفصوص : ط الحلبى ج ١ ، ص ٢١٧

فالحق فى التعريفات الصوفية هو الذات الالهية فى وجودها المطلق !!

أرأيت بأى اجتراء وأى زندقة يزعم أن علة حب الرسول ﷺ للنساء هى اعتقاده أنهن الله تعالى فى أجمل صور تعيناته وتجلياته ، ورغبة فى الالتذاذ الجسدى المتنوع بربه !! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ..

أرأيت كيف زعم أن الله لم يأمر بالغسل الا ليتطهر العبد مما توهمه من أنه كان مع امرأة على حين كان هو مع الربة الصوفية جسدا وخطيئة !!

ان جلدى ليقشعر .. وشعرى ليقف فزعا ، ويكاد قلمى ينقصف وأنا أنقل لك هـذه الصورة البشعة للكفر والزندقة والضلال .. والله تعالى أسأل أن يتجاوز عن ذنبى فى هـذا فما أردت الا تعريفك — أخى القارىء — بمبدأ وحدة الوجود الذى ابتدعه ابن عربى وأقام عليه دينه ومذهبه !!

ان ابن عربى لم يبتدع نظريته فى الحقيقة المحمدية .. الا ليبنى عليها مبدأه فى وحدة الوجود .. ونظريته فى العالم اللدنى للأولياء ..

وقد تحدثنا عن ذلك حين عرضنا للمعرفة الاشراقية فى صدر هذا المبحث ، وآن أن نحدثك عن هذه الحقيقة المحمدية التى افتروها .. والله الكريم يغفر لنا ما نعرض من أفكارهم وافكهم وزورهم ..

قلنا ان الرسول ﷺ — فى عقيدتهم — هو الله سبحانه ، ذاتا وصفاتا !!

وليس الرسول — فى زعمهم — بشرا ولا رسولا .. وانما هو الذات الالهية فى أسمى مراتبها ، وهو الاسم الأعظم ، وهو الأحدية والواحدية !!

يقول الله تعالى : **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم »**(٥٩) ؟

---

(٥٩) آل عمران : ١٤٤

ويقولون : هو الذات مع التعين الأول ، وله الأسماء الحسنى ، وهو اسم الله الأعظم !!

ويقول تعالى : **« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحـد »**(٦٠) .

ويقولون : صورة الحق هو محمد — ﷺ — لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية ، وهو مجلى الذات الالهية !!

اسمع الى ابن عربى وهو يقول : « اللهم أفض صلة صلواتك وسـلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الربانى ، وآخر التنزلات المضافة الى النوع الانسانى ، المهاجر من مكة — كان الله ولم يكن معه شيء ثان — الى المدينة ، وهو الآن على ما عليه كان ، محصى عوالم الحضرات الخمس فى وجوده ، سر الهوية فى كل شيء سـارية ، الجـامع بين العبـودية والربوبية ، الشـامل للامكانيـة والوجوبية »(٦١) !!

ويعلق على هـذا فضيلة الشـيخ عبد الرحمن الوكيل قائلا : « ... أرأيت الى قطب الصوفية الأكبر فى غى الحاده الأكبر ، يفترى أن محمدا — ﷺ — هو الله ؟ ! ..

وتأمل دهاء مكره فيما يعبر به عن كفره فى قوله : « المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان الى المدينة » .. انك حين تقرأ تلك الجملة دون تدبر ستظن أن فيها خللا .. وأن جملة « كان الله ولم يكن معه شيء ثان » — لا صلة لها بما قبلها ولا بما بعدها !!

ثم يقول : « وأعترف أننى خدعت ، فظننت أن هـذه الجملة مقحمة ، وحرت فى ادراك هدف ابن عربى من وضع تلك الجملة التى تبين عن حق كريم بين باطل عربيد ، وآخر لئيم !!

بيد أنى عدت الى النص أتلوه ، وفى فكرى دين ابن عربى ،

---

(٦٠) الكهف : ١١٠.

(٦١) مجموعة الأحزاب ط . استامبول ، ١٢٩٨ هـ ، ص ٢ .

وثمت بدا لى هدفه فى وضوح وجلاء .. وتبين لى أن الجملة ليست مقحمة ، وانما هى لحمة دينه وسداه ..

فلنعد الى الجملة نرتبها كما تحتم قواعد اللغة الصحيحة : « المهاجر من مكة الى المدينة كان الله ، ولم يكن معه شىء ثان » .. ما زدنا شيئا على قوله ولا نقصنا منه .. وكل ما فعلناه هو وضع قوله « الى المدينة » موضعه ، بعد أن نأى به ابن عربى عنه ، ليمكر به ويلتوى على القراء فهمه !!

بهذا يبدو لك جليا .. أن ابن عربى يفترى أن المهاجر من مكة الى المدينة لم يكن هو محمدا رسول الله .. وانما كان هو الله متجليا فى صورة اسمه فيها « محمد » !!

ولا ريب فى أنك تعرف : أن صاحب الرسول — ﷺ — فى الهجرة كان أبا بكر .. غير أن ابن عربى يقول : « ولم يكن معه شىء ثان » !! يعنى أن أبا بكر هو الآخر لم يكن الا الله متعينا فى صورة اسمه فيها « أبو بكر » !!

ومات محمد ﷺ .. ومات من بعده أبو بكر — رضى الله عنه — فأى اله هذا الذى يتجرع غصة الموت مرتين !! .. بل ما ذلك الاله الذى يموت ويحيا فى كل لحظة آلاف المرات » ؟ !

ثم يقول فضيلته : « لقد دانت الصوفية بأن الرب الأكبر هو عين خلقه !! .. وفى كل لحظة يعبر بها الوجود تفنى حياة وتنبثق حياة .. فيا للصوفية ! يعبدون ربا يموت آلاف المرات ، ويولد آلاف المرات فى آن واحد !!

« ومحمد الصوفية له مظهران ، أو اعتباران ، فهو عبد أو خلق باعتبار ظاهره .. وهو رب أو حق باعتبار باطنه !!

« ولهذا يصفه ابن عربى — باعتبار ظاهره — بأن له العبودية !!

« ويصفه — باعتبار باطنه — بأن له الربوبية !!

« يصفه بأن له الامكانية باعتبار ناسوته .. وبأن له الوجوبية باعتبار لاهوته »(٦٢) !!

ويقول النابلسي وهو يتحدث عن شهادة التوحيد : « وأما بيان الحقيقة ، فان هاتين الشهادتين تداخلتا بحيث صارتا شهادة واحدة ، وبينهما تلازم معنوى ..

فان الله تعالى أظهر محمدا ﷺ عندنا ، ومحمد ﷺ أظهر الله تعالى عندنا أيضا .. كما أن النور لا يعرف الا بالظلمة ، والظلمة لا تعرف الا بالنور .. ولهذا قال تعالى : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** »(٦٣) .. فجعل اطاعة الرسول هى اطاعة الله تعالى . وقد تكرر لفظ الجلالة مرتين فى الشهادتين ، ووقع بينهما اسم محمد اشارة الى أن الله من حيث هو ، والله من حيث محمد واحد ، والفاصل بينهما هو مجرد هذه الصورة المحمدية لا غير .. وهذه الصورة له من حيث محمد ، لا له من حيث هو .. فانه من حيث هو لا يقبل الاشارة مطلقا ، والصورة معدن الاشارة .. ولهذا كانت الشهادة الأولى مشتملة على النفى فى أولها بحرف « لا » اعلاما بالتنزيه الذى ينبغى من أول الأمر ، بخلاف الشهادة الثانية صدرت بالاثبات مؤكدة بـ « أن » ..

ومرادنا بالصورة المحمدية — التى هى حجاب الله تعالى عند قوم ، ومجلاه ومظهره عند آخرين — اللفظ والمعنى جميعا ، فان الظاهر والباطن يدخل تحت مسمى الصورة ، مظاهرها عندنا باطنها عند الملائكة ، وظاهرها عندهم باطنها عندنا .. فهو الظاهر من حيث ما هو باطن ، وهو الباطن من حيث ما هو ظاهر .. فأخذت الصورة حكم المتصور بها ، ولهذا قال تعالى : « **فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك** »(٦٤) ، وانما كان ذنبه : اعتقاد المغايرة . والشهادتان فى الحقيقة شهادة

---

(٦٢) هذه هى الصوفية ، لعبد الرحمن الوكيل ، ص ٧٧ — ٧٩

(٦٣) النساء : ٨٠ (٦٤) محمد : ١٩

واحدة .. ولكن حالت الصورة بينهما كما ذكرنا .. فمن نظر اليها قال بالثنوية ، والتوحيد انصرف يأبى ذلك »[٦٥] .

* * *

ونحن .. لا نريد أن نطلق الاتهام كما أطلقه فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل .. ولا نقول بمثل قوله ان جميع الصوفية يعبدون ذلك الرب الذى اخترعه ابن عربى بادعاء وحدة الوجود والحقيقة المحمدية .. ذلك الرب الذى يموت آلاف المرات ، ويولد آلاف المرات فى آن واحد !!

نحن لا نقول بمثل هذا القول ..

فما كل متصوف سمع بوحدة الوجود .. وما كل متصوف عرف الحقيقة المحمدية ..

انما كان هذا قول الفلاسفة منهم الذين أسسوا هذه العقيدة الدخيلة على الاسلام — أعنى الحقيقة المحمدية — ليبنوا عليها الزعم بوحدة الوجود ..

ونقول : ان هذه العقائد دخيلة على الاسلام لأنه لم يكن لها أصل فى الصدر الأول له ، قبل أن يهتم المسلمون بنقل الفكر الوثنى لأرسطو وأفلاطون وأفلوطين ثم يخلطونه بعقيدة التوحيد التى قام عليها الاسلام ..

ان هذا الكلام جد خطير .. بل هو الخطر كله !!

ونحن نعرف مدى خطورة هذا الكلام !!

ومعرفتنا لهذه الخطورة هى التى تدعونا للتصدى له !!

ونحن نعرف أننا حين نتصدى لهذا الكلام الخطير نؤلب علينا المئات بل الألوف !!

وأن هذه المئات أو الألوف ، سوف تستعدى علينا كل سلطة .. سواء أكانت سلطة الدهماء ، أو سلطة الحكام !!

---

(٦٥) انظر « حقائق الاسلام وأسراره » ، مرجع سبقت الاشارة اليه ، ص ١٦٨ ، ١٦٩

ولكن .. ما حيلتنا ونحن ندرك خطورة هـذه الأفكار التى تمسخ عقيدة التوحيد وتحيلها الى كائن هزيل لا يصمد أمام الأيام ؟ !

ما حيلتنا .. ونحن نطالع هـذا الكلام الخطير حين نقرأ أفكار فلاسـفة الصوفية الأوائل .. ثم لا نجد من يتصدى لها من العقلاء والمعتدلين من رجال الطرق المعاصرين — وبعضهم قد بلغ بحمد الله أرقى درجات العلم — لا يتصدون لهـذه الأفكار الا بقولهم : ان القائلين بالحلول والاتحاد والوحـدة قد انتهى أمرهم وليس لهم اليوم تابع ولا وارث .. وأن ما نسب اليهم قد أصبح اليوم نوعا من الحفريات التاريخية التى لا يتابعها الا الهواة والمتخصصون فى البحث عن مقابر الأفكار المهملة ، والا أصحاب الهوى الذى يعمى ويصم ؟ !

ما حيلتنا .. ونحن نرى هـذه الأفكار والعقائد — وان لم تبد واضحـة جلية أمام الناس — تتسلل الى حياة وسلوك المئات والألوف من الأتباع والمريدين دون أن يعرفوا لها أصلا ، أو يعلموا لها مصدرا ؟ !

ما حيلتنا .. ونحن نرى البعض — من المسلمين — يعملون بحسن نية — أو بغير ذلك — على هدم عقيدة التوحيد التى جاء بها الأنبياء والرسل منذ بعث الله أنبياء ورسلا ؟ !

ماذا نملك من فعل ونحن نرى المعاول تنهال على التوحيد الذى بنى عليه الاسلام لكى تهدمه من أساسه وتقيم على أنقاضه بناء هزيـلا أساسه وحدة الوجود ؟ !

ان الاسلام — كما قلنا أكثر من مرة ، ولن نكف أبدا عن ذلك القول — هو دين التوحيد الكامل ..

وتوحيد الاسلام .. ليس كتوحيد اليهود الذين عبدوا « يهوه » وجعلوه الهاً محليا لا يخص سوى بنى اسرائيل !!

توحيد الاسلام .. ليس كثنائية المجوس الذين عبدوا الهاً للنور وآخر للظلمة !!

توحيد الاسلام .. ليس كتثليث النصارى .. الذين ادعى فريق منهم أن المسيح ابن الله ، وادعى الفريق الآخر أنه هو الله نفسه !!

توحيد الاسلام .. يقول : لا اله الا الله .. محمد رسول الله ..
فالله تعالى هو خالق السموات والأرض ومن فيهن .. وهو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة .. ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ..

وما محمد — ﷺ — الا رسـول قد خلت من قبله الرسل .. بشرا منا .. فضله الله علينا بالوحى .. واختصه من دوننا بالرسالة ..
فمبلغ العلم فيه — كما يقول البوصيرى — أنه بشر ، وأنه خير خلق الله كلهم ..

فاذا ما قام من بين صفوفنا — نحن المسلمين — من يدعو الى وحـدة الوجود ، وينادى بالحقيقة المحمدية على هـذه الصورة .. فان الأمر جد خطير ، ويدعو المسلم الغيور على دينه وتوحيده الى التصدى له ..

وليت الاخوة — من الصوفية المعتدلين — يتصدون لهذه الأفكار الخبيثة المستوردة من الفكر الوثنى التى لا تهدف الا لتقويض عقيدة التوحيد !!

لينا نواجه الأمر بشجاعة واستشهاد ، بدلا من أن نتأسى بالنعام حين يدفن رأسه فى الرمال حتى لا يرى الخطر المحدق به !!

فاللهم اهد قومى ، فانهم لا يعلمون !!

يقول بهاء الدين البيطار : « شأن محمد فى جميع تصرفاته شأن الله ، فما فى الوجود الا محمد » !!

ويقول : « لا يدرى لحقيقته غاية ، ولا يعلم لها نهاية .. فهو من الغيب الذى نؤمن به » !!

ويقول : « ولمـا كانت بشريته ﷺ نورا محضاً .. كانت فضلاته مقدسة طاهرة ، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة .. وهـذا النور المحمـدى ، هو المعنى بروح الله المنفوخ فى آدم ، فروح الله نور محمد »[٦٦] !!

ويقول النابلسى فى شرحه لصلاة ابن بشيش : « ما صلى على محمد

---

(٦٦) النفحات الأقدسية ، للبيطار ، ص ٩ ، ١١ ، ١٣

الا محمد .. لأن صلاة العبيد عليه صدرت منهم بأمره من صورة اسمه »(٦٧) !!

ويقول الدباغ : « اعلم أن أنوار المكونات كلها .. من عرش وفرش ، وسموات وأرضين ، وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها .. اذا جمعت كلها ، وجدت بعضا من نور النبى .. وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب .. ولو وضع على الحجب السبعين التى فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت »(٦٨) !!

ويقول التيجانى : « لما خلق النور المحمدى ، جمع فى هذا النور المحمدى جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعا جمعا أحديا ، قبل التفصيل فى الوجود العينى . وذلك فى مرتبة العقل الأول »(٦٩) !!

ويقول الحلوانى فى قصيدته « المستجيرة » يخاطب رسول الله ﷺ :

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى ... فردا لفرد ، والبرية فى العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامى ، فياعظم الكرم
فلذا اليك الخلق تفزع كلهم ... فى هذه الدنيا ، وفى اليوم الأهم
واذا دهتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء فى داك انتظم
جد لى ، فان خزائن الرحمن فى ... يدك اليمين،وأنت أكرم من قسم(٧٠)

أين هذا من قول الله تعالى لرسوله ﷺ : « **ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون . ولله ما فى السموات وما فى الأرض ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله غفور رحيم** »(٧١) .

الله تعالى يقول لنبيه : « **ليس لك من الأمر شىء** » ..

---

(٦٧) مجموع الأحزاب ، ص ٥٥٧
(٦٨) الابريز ، للدباغ ص ٨٤
(٦٩) رماح حزب الرحيم ، لعمر بن سعيد ، ص ١٤
(٧٠) رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانى ، ص ١٤ وما بعدها ..
(٧١) آل عمران : ١٢٨ ، ١٢٩

ويقولون : جد لى ، فان خزائن الرحمن فى يدك اليمين ، وأنت أكرم من قسم !!

ويقول تعالى له : « **قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، إن أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين** »(٧٢) .

ويقول جل شأنه : « **قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا . قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا** »(٧٣) .

ويقول الحلوانى : اليك يفزع الخلق كلهم فى هـذه الدنيا ، وفى يوم القيامة ، واذا دهت الناس كربة فرجتها عنهم !!

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ : « **ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا** »(٧٤) .

ويقول البوصيرى : « فمن علومك علم اللوح والقلم » !!

يقول جل وعلا : « **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدنى علما** »(٧٥) .

ويقول الشعرانى : « اعلم أن رسول الله — ﷺ — أعطى القرآن مجملا قبل جبريل — عليه السلام — من غير تفصيل الآيات والسور »(٧٦) !!

ويزعمون أن جبريل — عليه السلام — عجب حين رأى محمدا ﷺ يتلوا القرآن قبل أن يعلمه اياه !! فسأل جبريل ، فأجابه النبى : ارفع الستر مرة حين يلقى اليك الوحى .. ففعل جبريل ، فرأى محمدا هو الذى يوحى اليه .. فصاح مسبحا : منك واليك يامحمد !!

أرأيت الى أى حد وصلت الزندقة والضلال ؟ !

وما أضل الناس وأزاغ أبصارهم سوى ابتداع ابن عربى للحقيقة المحمدية واختراعه لوحدة الوجود !!

---

(٧٢) الأحقاف : ٩
(٧٣) الجن : ٢١ ، ٢٢
(٧٤) الشورى : ٥٢
(٧٥) طه : ١١٤
(٧٦) الكبريت الأحمر ، ص ٦

يقول تعالى : « **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون • ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** »(٧٧) •

وما أنزل على ابراهيم والنبيين من بعده سوى التوحيد •• وعلى التوحيد بنى الاسلام الذى ندين به ••

* * *

(٧٧) آل عمران : ٨٤ ، ٨٥